

الجيلالي الغرباوي .. مجد فني متأخر لتشكيلي عاش الحياة مأساة وعزلة

15 حزيران (يونيو) 2012 - فن وثقافة



ينضح كتاب "نظرات على أعمال الجيلالي الغرباوي" الذي أصدره بنك المغرب مؤخرا بالعديد من الأسرار الكامنة في التجربة الفنية والإنسانية لهذا الفنان التشكيلي المأساوي الذي لطالما عانى من التهميش والنكران. هو الذي عاش منذورا للفن والحياة كأفقين متداخلين متفاعلين. واضعا بذلك أسس الحداثة التشكيلية في المغرب.

من هذا المنطلق يمكن اعتبار هذا الكتاب الذي صدر على هامش المعرض الذي يقام احتفاء بهذا الفنان الراحل إلى غاية 26 غشت بمثابة رد اعتبار لأحد رواد التحديث في الفن التشكيلي بالمغرب الذي مات غريبا على مقعد بحديقة في باريس بعد حياة موسومة بالعطاء الفني المتفرد والقلق الوجودي والألم النفسي والعضوي أوصلته إلى تخوم الانتحار مرتين، وإلى عزلة قاسية.

فبين لحظة ميلاده عام 1930 بجرف الملح بنواحي سيدي قاسم إلى حدود وفاته سنة 1971، ترتسم من خلال هذا الكتاب المتفرد، ملامح تجربة غنية ومتوترة محمومة باحثة عن المعنى واللامعنى، عن سر الحياة والوجود والفن، عاشها الغرباوي بعدما فقد والديه وهو في الثانية من عمره، ليتكفل به خال ما لبث أن وضعه في الملجأ، ليعيش بعدها أهوال الشارع إلى أن اكتشف الرسم وهو في الخامسة عشر من عمره حيث شرع يعرض رسومه على الرصيف أملا في أن يقتنيها منه الناس.

وفي باريس سيكتشف الغرباوي لأول مرة جوا من الصداقة والحميمية لم يعرفه من قبل, حيث التقى بالرسام هنري ميشو, المنظر الأكبر لنفي المكتسبات أما في المدرسة فأدرجوه في سلك التربية غير النظامية في 1950.

عاد الجيلالي الغرباوي إلى المغرب في 1955 غير أن معرضه الأول الذي أقيم في السنة الموالية, وجد استقبالا عنيفا من لدن النقاد كما يوضح قاسم بلعوشي في مقاله "الجيلالي الغرباوي أو الحركة الجامحة" حيث ستلاقي لوحاته رفضا واستصغارا من قبل سدنة معادين لكل حداثة أو جديد مما جعله يبقى لزمن طويل نكرة مجهولا لا يأبه به أحد.

وفي معرض تسليط الضوء على تجربته الفنية, يقول بلعوشي إن الجيلالي الغرباوي يعد "أكبر الفنانين التشكيليين المغاربة لفترة ما بعد الاستقلال شأننا وأبعدهم أثرا في الفن كما في الخيال الجماعي. فلوحاته التشكيلية الأولى تشي بعنف متفجر وطاقاة إبداعية خلاقية, وهو قد أصبح رمزا لأسلوب قامت عليه قواعد التجديد في التشكيل المغربي. لقد كان فنانا للقطيعة".

وزارة الثقافة, فن تشكيلي